تجربة ناصر لتحطيم الربا

وتحقيق العدالة الاجتماعية

بقلم الأستاذ

طه عبد الباقى سرور

بالكلمة لا بالمدفع ؟

بالإيمان لا بالدم ؟

بالإرادة المصممة ؟

وبالعزم الحى الحاسم ؟

وفى مسمع الدنيا وعلى عينها ، يرفع جمال عبدالناصر اليوم ، رايات بعث وبناء ، لأروع تجربة خلاقة فى تاريخ بنى الإنسان .

تجربة ناصرية ، لا شرقية ، ولا غربية ، تجربة لم تنبتها حقول الأحقاد ، ولم تسقها مياه الإلحاد ، ولم يثيرها رأس المال ، ولم يبعثها رغبة فى طغيان أو إستعمار .

وإنما تجربة نبعت من إيمان بطل ، ومن آمال شعب ، نبتت من التجاوب الحى ، بين أحلام الملايين ، وبين قلب زعيم ، غدا قلبه كالمرصد الحساس ، الذى يسجل كل اهتزاز ينبعث من وجدان أمته ، وينبض بكل حلم يراود شعبه .

من هذا التجاوب الحى ، كان هذا البعث الاشتراكى التعاونى الثورى الذى يكادسنا برقه يخطف الأبصار .

إنه بعث يحمل فكرة ورسالة ، وهذه الفكرة وهذه الرسالة ، قد تصنع الحياة عندنا ، وقد يمتد شعاعها إلى ما يحيط بنا ، وقد يتطاير هذا الشعاع إلى كل أفق إنسانى ، وإلى كل ميدان عالمى ، فتصبح الفكرة والرسالة ، حركة من حركات التاريخ ، وانطلاقه من الانطلاقات التى تبدع تطور الإنسانية .

وأروع مافى هذا البعث ، أنه لم يتنكر لمواريث الإيمان ، ولم يتطاول على

مقدساته ، ولم يرتكز على إثارة الأحقاد العنصرية أو الطبقية ، ولم يبن على الغطرسة الدكتاتورية المتجبرة .

وإنما ارتكزت قواعده على الإيمان والإخلاص ، واستمد حركته من الحب والإخاء ، وبنى فلسفته وانطلاقه ، على التعاون فى كل حقل وميدان ، وعلى التناسق بين الطبقات . وعلى التكافل والتكافؤ فى الحقوق والواجبات .

عدالة إجتماعية إنسانية رحيمة ، إمتد عدلها إلى كل قطاع ، ومشى نورها وخيرها إلى كل قلب ، وخاطب منطقها كل وجدان وضمير .

إن هذا البعث أو هذه التجربة الناصرية المنطلقة فى زحفها المقدس هى عندى ، أضوأ وأخلد سطر فى كتاب البطولة الناصرية .

لقد طرد جمال عبد الناصر ، ملكا طاغيا ، وحطم إقطاعا باغيا ، وقذف بأعتى وأخبث استعمار عالمى إلى البحر ، وخاض معركة السويس ضد عدوان ثلاثى قوى ، فدمر العدوان وحطم أسطورة الاستعمار ، وأطلق شعاع الأمل ، وسناء الحرية ، فى القارتين العظيمتين آسيا وأفريقيا .

وكون من شعوب الرسالات والنبوات وحدة عربية ، ذات مقام دولى ودعم سياسة الحياد الإيجابى ، وأقامها وأطلقها ، قوة توازن وتحافظ على السلام العالمى .

فعل جمال كل هذه الشوامخ ، وفى بعض ما فعل ما يخلد أبطالا ، وفى بعض ما فعل ما يكتب تاريخا مضيئا .

ولكن جمال بتجربته الاجتماعية الكبرى فى عيد الثورة التاسع كتب صحيفة متلألئة خالدة ، تفوق بها على نفسه ، وعلى أمجاده .

لم يحرر جمال بهذه التجربة أرضا ، ولم يحرر مالا فحسب ، بل حرر شعبا ، حرره فرداً فرداً ، حرره ضميراً ووجداناً ، حرره خلقاً وعملا ووجوداً .

حرره أمة من مواريث مئات السنين ، تلك المواريث الكالحة الذليلة ، الخانعة المتواكلة ، بكل ما يثقل كاهلها وضميرها من تمايز طبقى ، وذل اجتماعى .

ووضع فى كل قلب أملا ، وفى كل عقل مصباحا ، وفى كل يد عملا ، وفى كل بيت سعادة .

وفتح أبواب سحرية لغد مشرق حر ، متحرر من كل خوف أو جبن أو طغيان إنها تجربة قد وضعتنا أفراداً وجماعات على المسرح العالمى ، ترقبنا عيونه ،

تجربة يجب أن نرتفع إلى مستواها ، وأن نحمل رسالتها ، بكل عزماتنا وبكل آمالنا .

والتجربة الناصرية فى أثرها وأهدافها : أكبر من أن يحيط بها مقال ، وأعظم وأشمل من أن يعرضها بحث واحد .

إنها تجربة رحبة الآفاق والميادين ، يجب أن نتذوقها ونحسها ونعيشها ، وأن نندفع فى انطلاقاتها ، وأن يمشى بعثها إلى واقع حياتنا فيغيره ويلونه ويطوره .

وأن تمشى الأقلام والألسن وكل أدوات التعبير الفنية إلى مدلولها ومنطقها ، تسانده وتؤيده ، وتفتق جوانبه ، وتعرض صوره ،

وإن من الصور الرائعة فى هذا البعث الشامل ، بل هى عندى أخطر تجربة فى النظام الناصرى الجديد ، لتلك اللفتة الإيمانية الإنسانية النبيلة .

لفتة ناصر أو تجربته للقضاء على الربا ، حيث حرر الفلاح العربى وأعفاه من فوائد الربا فى تعامله مع بنك التسليف الزراعى التعاونى .

لقد أدار رجال الإصلاح والفكر الإسلامى الحديث طويلا ، دون أن يجدوا السبيل لتطهير وجه الحياة الإسلامية من هذا الدنس المحطم للإخوة الإنسانية ، المدمر للقيم الخلقية ، المشكل للرأسمالية الطبقية .

وبضربة واحدة من يد البطل المؤمن ، تحرر القطاع الريفى بأسره وهو أكبر قطاعات مجتمعنا العربى ، تحرر من هذا الأثم الفاجر وتطهر .

إنها تجربة لها ما بعدها ، تجربة علينا أن نرقبها ، وأن نساندها لأنها تفتح طريقاً عريضاً لما بعدها .

إن إيجابية جمال عبد الناصر وعزماته الصانعة ، وإرادته البانية ، ومثله الإيمانية المثالثة ، لتملأ قلوبنا أملا فى أن نرى النظم الإسلامية تسود بروحها الاشتراكية الإنسانية الشامخة ، لتسهم بإمكانياتها الشامخة فى تطورنا وبعثنا .

إن سلبية المتحدثين عن الفكر الإسلامى لم تصنع فى أجيال شيئا ، ثم صنع جمال فى لحظة ، تجربة حاسمة ، تتسق وتتفق مع مواريثنا الإيمانية ، وعقائدنا الربانية .

إننا فى بداية الطريق ، والتجربة الناصرية ، تفتح مجالا فى كل أفق ، وتصنع آمالا فى كل ميدان ، وتملأ قلوب المؤمنين باليقين بأننا نشهد الفجر الصادق ، الذى طالما ترقبناه وآمنا به ، لنعيش فيه مع كلمات الله ، التى تصنع الحياة .